

صاحبة نظرية «البعد الخامس» تحول كورونا إلى برهة إبداع

ملحة عبدالله

سيدة المسرح السعودي وأول عربية تُكْرَمُ أممياً



● الساحة الثقافية عامة والمسرحية خاصة في السعودية تشهد جهوداً تشييد بها عبدالله، وبالرغبة الأكيدة بالنهوض بحاله من قبل وزارة الثقافة، ظهرت بشايرها بتأسيس هيئة المسرح والفنون الأدائية، وتكوين فرقة المسرح الوطني.

بعبارة المسرح، وينصب اختيارها على قسم النقد والدراما، لتكون بداية انطلاق ملموسة نحو المسرح وفنونه. تقول عبدالله "المفارقة الكبرى عندما دخلت أكاديمية الفنون كأول سعودية تدرس المسرح، في الوقت الذي يرى فيه السكّن أن المسرح ليس بالمجال الجاد، وأنا أرى فيه علوم التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلوم الاجتماع والتراث والإعلام، وكل ما يعنيه بناء مفكر في كلمة واحدة، وانكشفت المفارقة بعد هذا الصراع التراجمي، أنني كنت على حق ونرى الآن كيف تطور المفهوم، وعرفت تمام المعرفة أن المسرح لا يقتصر فقط على الهبة فلا بد له من علم".

بعد تخرجها من أكاديمية الفنون بالقاهرة استطاعت وبالتعاون مع أكاديميين في المعهد العالي إنتاج نصوص مسرحية وتنظيم مسرحيات وعبر فرقة صعايلك المسرح والتي تضم مشاهير ذاك الزمان، مشددة عبر تاريخها المسرحي على "أن المسرح مكان للمتعة وليس للضحك، وإن يكن كوميدياً أو تراجمياً فالمتعة هي الحاصلة وبيت القصيد، فالعرض المسرحي من سماته الضحك ولكنه ضحك يحمل رسالة".

مسرح سعودي حقيقي

في ظل ما تشهده الساحة الثقافية عامة والمسرحية خاصة في السعودية من جهود للنهوض والاهتمام، أشادت عبدالله بما يشهده المسرح السعودي بالذات من استفاقة ورغبة أكيدة للنهوض والعودة به من قبل وزارة الثقافة، ظهرت بشايرها بتأسيس هيئة المسرح والفنون الأدائية، وتكوين فرقة المسرح الوطني، وبدت البهجة على معيها أثناء تدشين المسرح الوطني حين قالت "لم أتمالك نفسي من البكاء حين شاهدت العرض المسرحي وقت تدشين المسرح، بكاء الفرح، وتحقق الحلم وتحويله إلى واقع"، فلطالما كانت عبدالله ألام مريح القلب المنشغل بالمسرح رافعة لواء العودة إلى مسرح حقيقي يحظى بالقبول والاستحسان، "مسرحاً كلاسيكياً أخلاقياً واضحاً دون تخریب أو تقريب ومجرداً من التشويش"، موجهة دعوتها إلى المسرحيين أن يعززوا الحب بينهم والتكاتف ونبت حب الذات "فالمسرح لا يعرف الأنا، ما يعرفه هو الجماعة".

نظريتها «البعد الخامس» التي تعتمدها جامعة بيركلي الأميركية على أساس كونها نظرية علمية في المسرح، صنفت كسابق يحسب لها، وهي تعنى بالوجدان ومحاولة حصره وإرسال الرسائل إليه طواعية لا قسراً، ودراسة مسار وتأثير تلك الرسائل على الدماغ

الفلسفية المؤثرة في جميع المجتمعات عبر العصور، ونقدتها، وتحليلها، من زاوية الأنا والاعتراق "وكيف يخضع الفرد بين هذين الحدين، وإلى أي حد يميل خاصة مع ظهور النظريات الحديثة ما بعد الحدائية والتفكيكية"، وأردفت "قد انضح أن للتفكيكية أثراً بالغاً في ما يحدث في الشارع العربي والعالمي، وهو سبق في إخراج النظرية من إطار النص الأدبي إلى التأثير النفسي المجتمعي"، ولم تنس ملحة المهتمين بالكتابة المسرحية والطلبة الدارسين لفن المسرح حيث انتهت قبل شهر من إصدار كتاب "أركان المسرح، كيف تكتب مسرحية"، لتبدي رأياً حول الكتابة المسرحية واختلافها عن باقي الكتابات، وأفضلية ووجوب سرعة إنجازها من أجل الإيقاع الحسي.

بذات علاقة عبدالله بالمسرح منذ طفولتها، حين كانت تصحب والدها لمشاهدة "بروفات" مسرحية في مدينة أبها، موطن الولادة والنشأة، لتجسد ما رآته ولتحاكيه أمام والديها حين العودة إلى البيت، إضافة إلى ممارسة التمثيل على عتبه في سن الثانية عشرة، وحدث هذا خلال مرحلة عمرية كان المسرح السعودي ينعم فيه بتطورات وتعدد، مسرحاً للشباب، ومسرحاً جامعياً، وآخر لجمعية الثقافة والفنون وغيرها، وهي أضحت مكن ترابط بينهم، ونسجياً ينفي العصبية القبلية، وهو نقد وتحليل للوصول إلى شخصية الإنسان والمكان، معتمدة اعتماداً كبيراً في عرضه على صور التقطت قبل أكثر من 100 عام، في القرن التاسع عشر، سعت إلى شرحها، وأعطت بالتالي الكتاب حكماً بالتوثيق الشديد، والإصدار عبارة عن رحلة منذ بدء الخليقة وحتى القرن الثامن عشر لتصل من خلاله إلى الهوية العربية تظل في عالم المحسوس "ونحن نحملها كعنتي، فأردت إخراجها من المحسوس إلى الملموس بأن تجسد وتنتج وتستقل عياناً أمام الأجيال القادمة وخاصة بعد الحروب والعولمة ومحاولة طمس الهوية"، وقام بمراجعتها وتقديمه شيخ المحققين حسين نصار، لتتحقق القارئ العربي بإصدارات أخرى منها "البداءة وأثرها على المسرح السعودي" وأشير إليه بأول بحث بينت فيه أن البداءة ليست هي الخيمة والجمال، ولكنها هي العادات والتقاليد، ومدى ما سببته ثقافة المسرح "عبياً" في العرف القبلي معوقاً أساسياً أمامه.

أما كتاب "أثر الهوية الإسلامية على المسرح السعودي" والذي أوجزته بقولها "إن الوجدان المجتمعي ودرجة وعيه وفهمه للمسرح حجت من نهضة المسرح في بلدنا"، وعبر ثلاثة أجزاء جاءت موسوعة "نقد النقد" وإخضاع جل الرؤى

على الكهوف والألعاب الشعبية التي تسمح للخيال بالانطلاق، في ظل الإكفاء على العقائد، فهذه الطرائق، والحديث لعبدالله، تستطيع أن تتسلل إلى الوجدان، وهي ما تتكى عليها أعمال مراكز وديزني وبعض الآلام الخيالية المعتمدة على العالم السحري الخلاب، وتزيد قائلة "هي مرتبطة باليات الإرسال وصناعته، بحيث تجعلنا نحن كمتلقين تكمل الصورة التي تثار عن طريق الخيال بمساعدة السرد، والعقيدة تلعب دوراً هاماً في التسرب الوجداني". وقد واجهت النظرية الكثير من التساؤلات والاستحسان كونها ذات حثيات صعبة تخص أولئك المعنيين بالرسالة، ولا تخص المتلقي، وقد طبعت في كتاب تُرجم للغة الإنجليزية.

نحو تعزيز القيم الإنسانية

مدت عبدالله المكتبة العربية بإصدارات ودراسات تصب في تعزيز القيم الإنسانية، فحول ملامح الشخصية في الجزيرة العربية وعبر جهد مستمر عشر سنوات، وبمنهج تصليلي مكون من جزأين، أخرجت عبدالله كتابها "الجزيرة العربية الهوية، المكان، الإنسان"، والذي سعت من ورائه للحفاظ على الخصائص والمميزات التي حُبِي بها العرب، والتي أضحت مكن ترابط بينهم، ونسجياً ينفي العصبية القبلية، وهو نقد وتحليل للوصول إلى شخصية الإنسان والمكان، معتمدة اعتماداً كبيراً في عرضه على صور التقطت قبل أكثر من 100 عام، في القرن التاسع عشر، سعت إلى شرحها، وأعطت بالتالي الكتاب حكماً بالتوثيق الشديد، والإصدار عبارة عن رحلة منذ بدء الخليقة وحتى القرن الثامن عشر لتصل من خلاله إلى الهوية العربية تظل في عالم المحسوس "ونحن نحملها كعنتي، فأردت إخراجها من المحسوس إلى الملموس بأن تجسد وتنتج وتستقل عياناً أمام الأجيال القادمة وخاصة بعد الحروب والعولمة ومحاولة طمس الهوية"، وقام بمراجعتها وتقديمه شيخ المحققين حسين نصار، لتتحقق القارئ العربي بإصدارات أخرى منها "البداءة وأثرها على المسرح السعودي" وأشير إليه بأول بحث بينت فيه أن البداءة ليست هي الخيمة والجمال، ولكنها هي العادات والتقاليد، ومدى ما سببته ثقافة المسرح "عبياً" في العرف القبلي معوقاً أساسياً أمامه.

أما كتاب "أثر الهوية الإسلامية على المسرح السعودي" والذي أوجزته بقولها "إن الوجدان المجتمعي ودرجة وعيه وفهمه للمسرح حجت من نهضة المسرح في بلدنا"، وعبر ثلاثة أجزاء جاءت موسوعة "نقد النقد" وإخضاع جل الرؤى

مصاف المكرمين على مستوى العالم، كأول عربية تحظى بتكريم من هيئة الأمم المتحدة، وحيازة الدكتوراة الفخرية على نظريتها "البعد الخامس"، والمركز الأول في المسابقة الدولية للمسرح من منظمة اليونسكو، لتتبع بتكريم رسمي من وطنها كأول مسرحية سعودية، وليتبعه العديد من الاحتفاءات والتكريمات داخل نطاق بلدها وخارجها، متجاوزاً إنتاجها حين الخمس والخمسين عملاً مسرحياً.

الانزلاق الوجداني

أعتمدت نظريتها "البعد الخامس" من جامعة بيركلي الأميركية على أنها النظرية العلمية في المسرح، وصنفت كسابق يحسب لها، والنظرية تُعنى بالوجدان ومحاولة حصره وإرسال الرسائل إليه طواعية لا قسراً، وبالتالي، تجعله مشدوداً طيلة العرض، فلا يتسرب إليه الملل، بل يتأثر بها، محدثة عبر العاطفة بما يُسمى "الانزلاق الوجداني" وعن طريق "التسرب الانفعالي"، ويتم عبر السيطرة على الوجدان، مكن العاطفة، والتي في حال امتلاكها استطاعت امتلاك لب المتلقي، لتكشف النظرية أن هذا التأثير يقوم على ثلاث ركائز هي "السرد والعقيدة وإثارة الخيال"، والتي بمقدورها اختراق فص مكانه الدماغ "الإميدال" ليغرز مادة "الدوبامين" المسؤولة عن الشعور بالذلة أو بالكر، وجعله يتفاعل بشكل متعة أو أسنى عن طريق المحاور الثلاثة المذكورة سلفاً.

والوجدان كما دلت على مكانه عبدالله فص في الدماغ تحت الفصين الكبيرين أمام الجبهة، في قاع المخ تحديداً، ويُعد منطقة مسؤولة عن الذاكرة والكسر، وموطننا للسعادة والحزن، مستهدفاً قوته من الحواس الخمس، وانفق عليه الفلاسفة العرب وأطلقوا عليه "المخيلة"، والهدف منه صناعة خطاب مؤثر وقادر على اتخاذ القرار في نهاية التلقي. وهذه النظرية مستخرجة مما هو كائن في التراث العربي وفنون الأطفال والنقش



● المسرح عند عبدالله مكان للمتعة وليس للضحك، حتى وإن كان كوميدياً، فالمتعة هي بيت القصيد.

صادق الشعلان
كاتب سعودي

تؤمن الأكاديمية والكتابة والناقد المسرحية ملحة عبدالله أن الانعزال فرصة لعودة الإبداع، وما توقف الأنشطة والفعاليات الثقافية بأنواعها في ظل جائحة كورونا، سوى مؤشر للعودة بنهم وحب وله وشغف "بحكم أننا عرفنا قيمة الأشياء"، كما تقول، لاسيما وأنها انتهت في شهر سبتمبر الماضي من كتابة نص مسرحي، وعبر إلهام تشابه أحداثه أحداث هذه الأيام وما تعتربه من جوائح كورونا، والمنطصف الذي أرغم العالم على عزلة منزلية وترقب ومحاولة إيجاد الحلول.

تزامنت ولادتها المسرحية مع موقف ديني متشدد متصاعد تجاه "أبوالفنون"، وتوجس يحسك حوله باختلاق صورة معيبة عنه، وكونه مكاناً للهو، أرخت سدولها على المجتمع، الأمر الذي أوجد عائقاً استطاعت تجاوزه بفعل شغف كبير به، ترجمته عبر اجتهاد وكفاح غدت بفضل سيدة المسرح السعودي، وأول امرأة سعودية تحترقه كتابة ونقاداً.

صارت نافذته المفتوحة على العالم العربي والدولي، إضافة إلى دراساتها وبحثها ونظرياتها التي جعلتها ضمن

كتاب «أركان المسرح، كيف تكتب مسرحية؟» تُبدي فيه عبدالله رأياً خاصاً جداً حول الكتابة المسرحية واختلافها عن باقي الكتابات، وأفضلية ووجوب سرعة إنجازها من أجل الإيقاع الحسي